

دراسة الشخصيات القومية في رواية «مدن الملح» لعبد الرحمن المنيف

روح الله صيادي نژاد*

تاريخ الوصول: ٩٧/١٢/١

سعيده حسن شاهی**

تاريخ القبول: ٩٨/٢/٨

الملخص

الرواية فن حديث في الأدب العربي ولم تمتد جذورها أكثر من قرن؛ لكنها رغم حداثةها تنمو بسرعة وإزدهار بأيدي الرواة العربية. يعد عبد الرحمن منيف من شخصيات أرسخ جذور الرواية في الأدب العربي لاسيما بأثره خماسية «مدن الملح». يحاول الباحثان في هذه الورقة البحثية اتباع المنهج الوصفي - التحليلي دراسة شخصيات الجزء الأول من خماسية «مدن الملح» (التيه) معتمدة على الملامح القومية قبل دخول الأميركان وبعده؛ كما يقوم هذا البحث على دراسة الشخصيات المحورية، دلالة الأسماء، توظيف الرموز ووصف الشخصيات. تستهدف المقالة إلى كشف خفايا شخصيات الرواية وتبين أسلوب الكاتب المميز في خلق هذه الشخصيات وهكذا يستنبط أن طرق الكاتب تختلف تماماً عما هو الحال في تقديم الشخصيات في الروايات العربية إذ إنه يحاول تسليط الضوء على القضايا القومية في أسلوبٍ يتميز بجودة الوصف و دقة البناء.

الكلمات الدلالية: الرواية، الشخصية، عبد الرحمن منيف، مدن الملح.

المقدمة

كثيراً ما تنتشر الروايات وتحلل عند النقاد وبعد مرّ السنين لم يبق منه أثرٌ في الذاكرة إلا الشخصيات، كما أنّ النقاد بدورهم أقرّوا إلى هذه الحقيقة وأكّدوا أنّ بنية الشخصيات أهمّ العناصر في البناء الفني للرواية؛ على سبيل المثال: ترى فيرجينيا وولف أنّ الرواية لا تخلق إلا لعرض الشخصيات (ميريام، ١٣٦٨: ٣-٥). بيد أنّ القصص القصيرة والأقصوصة لا يفسحان المجال أمام الكاتب أن يخلق الشخصيات الخالدة. إنّ جذور تحليل الشخصية تمتدّ إلى قبل ٤٠٠ سنة في الغرب ولقد بلغ ذروته بظهور المكتب النفسى (رضوانيان، ١٣٨٩: ٥٨) غير أنّ اهتمام كتّاب العرب بالرواية لم يتجاوز أكثر من قرن. نظراً إلى اهتمام العرب بالرواية وتحليل شخصياتها اختارت هذه المقالة رواية خماسية «مدن الملح»، إذ إنّ ما يميّز هذه الرواية من بين عشرات الروايات، أسلوب الكاتب الخاص في خلق شخصياته وهو أسلوب يرنو الكاتب وراءه الوصول إلى مقاصده القومية، العربية والسياسية والكاتب لوصول إلى غاياته لا يكتفى بسرد الشخصيات الفردية وتعيين مصيرهم.

أما بالنسبة إلى خلفية البحث فهناك الأدباء والنقاد أقبلوا على هذه الرواية فمهّدوا أرضية مناسبة بدراساتهم للبحث في هذا المجال، على سبيل المثال: «مباهج الحرية في الرواية العربية» (النايلسى، ١٩٩٢) وكتاب «التقنيات السردية في روايات عبدالرحمن منيف» (عبد الحميد المحادين، ٢٠٠٥) الذى ينعكس النظريات النقدية السردية التى تظهر بشكل مختلف فى الروايات العربية لاسيّما روايات عبد الرحمن منيف؛ وأيضاً كتاب «السعودية وبدعة تاريخ البديل» (نصرالله، الياس، ٢٠١٠) الذى يقدم قراءة مغايرة، منهجية وتأسيسية فى آن، لخماسية «مدن الملح» التى ما زالت تعتبر وكتاب «الرواية العربية البناء والرؤيا» الذى يتناول الدراسات البنيوية حول الرواية (سمر روى، ٢٠٠٣) لكن هذه الدراسات رغم فوائده الكثيرة، أغفلت عن بنية الشخصيات ودقائقها وأهداف الكاتب من وراء الأثر.

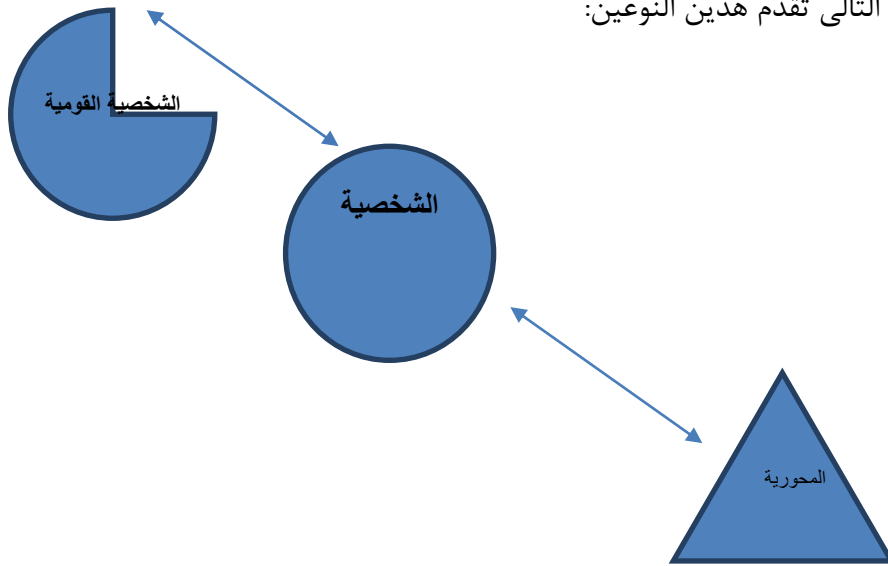
أثار عبد الرحمن منيف فى خماسية «مدن الملح» - لعظيم خطره فى فحواها - اهتمام النقاد والسياسيين وهو أفضل رواية فى العالم العربى فى تصوير قومية العرب نشأتها وتطورها فى أخطر حصّة التاريخ وهى حصّة عشر العرب على النفط فحولت حياته تحويلاً عظيماً. تتناول الرواية كل هذه التغييرات التى طرأت على العالم العربى. بعد العثور على

النفط، تغييرات غفلت منها عيون العرب قبل عبد/الرحمن منيف رغم مزج حياتهم بهذا الواقع التاريخي فالرواية كما يرى الكثير من النقاد وثيقة تاريخية لحياة العرب، يقول إلياس نصرالله في كتاب «السعودية وبدعة التاريخ البديل»: «إنّ الخماسية هي رواية للتاريخ الحديث للمملكة في القرن العشرين تبدأ من حكم الملك عبدالعزيز بن عبد/الرحمن بن سعود في سنة ١٩٠٢ حتى اغتيال نجله الملك فيصل بن عبد/العزیز في الرياض» (نصرالله، ٢٠١٠: ٣٤).

قراءة هذه الوثيقة التاريخية يقف القارئ أمام هذا السؤال: ما هي الأسباب التي جعلت الرواية رغم موضوعها التاريخي ناجحاً.

بنية الشخصيات في رواية مدن الملح

يواجه المخاطب في رواية «مدن الملح» نوعين من الشخصية الرئيسية. في الرسم البياني التالي تقدم هذين النوعين:



كما يلاحظ تتشكل أكثر بنية الشخصية ملامح القومية والشخصيات المحورية أيضاً مع تميزها عن الشخصية القومية جزء لا يتجزأ منه، وبها يتشكل الصراع في العمل الروائي بين التيارين القومي والحكومي (الحكومة والأميركان). وينحل العقد بأيدي هؤلاء الشخصيات. تشرح المقالة هذين النوعين من الشخصية بتفصيل في ما يلي:

بنية الشخصية القومية

المتأمل في بنية الشخصيات في رواية «مدن الملح» يرى أنّ هذه الرواية ليست مجالاً لخلق الشخصيات الفردية ومصيرها بل الكتاب يرنو من وراء هذه الشخصيات إلى ترسيم ملامح القوم العربي حيث تكونت الرواية من مشاهد عديدة، وفي كلّ مشهد يتعرف القارى على الشخصيات المتعددة لا سيّما عندما يروى الكاتب مصير العمال في شركة النفط التي أسّست في البلاد العربية؛ إنّ هذه الشخصيات ليست جوهرية ويكون عددها كبير حيث يصعب على الناقد تحليلها وفق الأسلوب القصصى المألوف عند النقاد وهذا لا يعنى أنّ رواية «مدن الملح» خالٍ من الشخصيات الفردية والمحورية وبتعبيرٍ آخر إنّ الشخصيات في هذه الرواية يمكن أن تكون مؤشرة دالة على المرحلة الاجتماعية التاريخية التي يعيشها الكاتب، ودالة على (مرشد، ٢٠٠٥: ٣٣). واقع يرسمه الكاتب في بداية الرواية بتوصيف ملامح قوم تغيّر شيئاً فشيئاً بدخول الأميركيان وهو مدقّ في ترسيم كل هذه التغييرات التي طرأت على العالم العربي كما أنّه منصف في توصيفه دون عصبية. تحاول هذه المقالة ترسيم خطوط أصلية لوجه الشخصية القومية للعرب إذ إنّ هذه الخطوط واللامح تتشكل شيئاً فشيئاً في الرواية بعقدة دخول الأميركيان في المنطقة العربية فينكسر الزمن الروائي إلى طورين: زمن قبل دخول الأميركيان وزمن بعد حضوره في المنطقة:



خط الزمن الروائي

اللامح القومية للعرب قبل دخول الأميركيان

يحتل الوصف مكاناً عظيماً في رواية عبد/الرحمن منيف لا سيما عندما يواجه المخاطب اللامح القومية للعرب قبل دخول الأميركيان، فإنها خليط من صدق في وعفوية تروى بلسان فكه لا يمزجه الغلو والعصبية. إضافة إلى هذا يتناول عبد/الرحمن منيف أسباب

تدخل الأميركيان في الشؤون الداخلية للعرب ويرسم بهذه الأسباب ملامح العرب. إليك أهم ما يميز به العرب قبل دخول الأميركيان.

أ. الجهل القومي

إنّ الجهل أهم سمات العرب في هذه الحقبة التاريخية، العامل الرئيس الذي أدى إلى سلطة الأميركيان على العرب، جهل واسع شائع يشتمل على كل جوانب حياتهم. يصوره الكاتب في شيوخ الخرافات من لسان قول الراوي «متعب الهزال» هو الشخصية المحورية عندما يصف مشهداً تمرض زوجته (وضحة):

«بعد ذلك بشهور قالت العجائز أن جنياً أسود دخل إلى جسد وفتحه، بين المعدة وأعلى الصدر، دخل مع ماء روضة المشتى، فاذا جاء الشتاء القوافل وانقضى فلا بد أن يخرج...» (عبد الرحمن منيف، ٢٠٠٨: ١٢٧).

نرى الفكاهية في تعبير منيف عن الجهل والخرافة في الناس في الفقرة السابقة باستخدام الإطناب في ذكر «بين المعدة وأعلى الصدر». وأيضاً بدقة الوصف ينجذب المخاطب ويضحكه، يصف أيضاً جهلهم الناجم عن بعدهم عن التكنولوجيا. وفي مكان آخر يستغربون عندما يرون الشاحنات والرجال يسوقونها، استغراب ممزوج بالخرافة:

«أين كان هؤلاء الرجال، كيف استطاعوا الدخول إلى هذه الآلات والخروج منها ويظل سالمًا؟ وماذا تفعل وكيف تتصرف وهل تأكل مثل الحيوانات أم لا تأكل أبداً؟» (السابق: ٩٨).

من الملاحظ أنّ العرب لا يميّز بين الشاحنة والحيوانات، فلا غرو أن يصبح هذا القوم بهذه الصفة فريسة للإستثمار الأميركي كما يلاحظ هذا الأمر في كل البلاد المستثمرة وأن هذا القوم لا يمكنه استخراج النفط من باطن الأرض دون مساعدة الأميركيان.

ب. الضعف السياسي

العامل الثاني في تسلط الأميركيان على العرب هو ضعف الحكومة المركزية حيث يستغرب الناس عندما تعين لمدينتهم «حران» أميراً:

«فحران الذى عاشت سنين طويلة لم تعرف أميراً ولا تحتاج إلى أمير، والتي رأت غافل السويد نصف النائم خلال الفترة القصيرة التي يقصها في حران، لا تتصور أنها قادرة على احتمال الأمير. ماذا يريد و ماذا تضيع فى حران؟» (السابق: ٢٥٧).

ليست النظم السياسية للعرب- كما يروى الكاتب- قائمة على أصول محكمة. فعلى سبيل المثال «غافل السويد» الذى كان الأمير السابق على منطقة حران كان رجلاً نصف النائم وهذا الأمر مهّد أرضية ملائمة لتدخل الأميركان فى شئون البلاد العربية والعجيب أن الحكومة تصبح قوية فى تعيين الأمراء منذ زمن دخل الأميركان فى البلاد العربية.

ج. الفقر القومى

إنّ الفقر عامل أساسى فى إغراء اهل العرب فى قبول الأميركان إذ يعدهم «ابن الراشد» ممثل الأميركان بوعودٍ يغرى العرب إلى قبول ظروف الحياة الجديدة:

«والناس فى وادى العيون، أيضاً، فقراء، لكنهم يبدون الرضا عن الحياة التى يعيشونها، وقد يسرفون بعض الأحيان إلى درجة المبالغة. ومع ذلك فإنّهم فى أوقات معينة يبدون السخط لأنّ التمر الجاف واللبن، وهزا الخبز القاسى الذى يضطرون لأكله أياماً متوالية، يجعلهم فى حالة من العصبية نظراً للآلام التى تتولد فى امعائهم، حتى إن الرجل إذا الأم من مكانه أصابه الدوار وسقط والأطفال الذين تظهر عليهم آثار ذلك من النحول والصفرة وبعض الأحيان من القيء والإسهال اللذين يتواليان فى أيام الصيف بأوقات متقاربة» (السابق: ١٤).

إنّ نظرة عبد/الرحمن منيف لا تنحصر على الصفات السلبية للعرب بل هو يصف العرب كما هم فى الواقع، من السمات الإيجابية للعرب ترقّع النفس و الكرم و الوداعة و الرضا و حفظ الأمانة:

«لذلك ينظرون إلى الأشياء والمال نظرة فيها ذلك الترفع، وبعض الأحيان فيها التهتار لأنهم على ثقة أن الحياة مهما قست عليهم لا يمكن أن نظحنهم وهذا يدفعهم فى حالات كثيرة إلى نوع من السلوك فيه فظاظة

وشىء من الخشونه لكنهم إذا وثقوا إذا أحبوا، أعطوا كل شىء دون ترود، ورضوا بأى شىء دون شعور بالمرارة»(السابق: ١٤).

يبدو أن عبد/الرحمن منيف فى وصف السمات الإيجابية للعرب يتأثر بالأشعار الجاهلية وأمجاد العرب لكنه لا يزال يراعى جانب الإنصاف ولا يعدل عن جادة الصواب فى وصفه هذا.

إن الرواية تشتمل على السمات الأخرى للعرب وهى سذاجة العيش، الذكاء، عدم تعدد الجنسية فى البلاد العربية وشدة التصاق العرب بعشيرته، كل هذه السمات تتغير شيئاً فشيئاً بدخول الأميركان حيث يرى القارئ فى نهاية الأمر قوماً لا يشبه بالذى شرح المقال سابقاً:

الملاح القومية للعرب بعد دخول الأميركان

تتغير معاش العرب بدخول الأميركان وتأسيس شركة النفط فى مدن الملح لكن احتمال العمل الشاق والحياة القاسية أصعب بأضعاف من الفقر الذى انتج عن الحياة البدوية.

يصور الكاتب ألوان الأحاسيس الجديدة التى دخلت فى قلوب العرب بدخول الأميركان، أحاسيس كالحقد، الحيرة، القلق، عدم الأمن والخوف أحاسيس تودى إلى عدم الرضا والتهيه، يشعر القارئ فى وصف كل هذه الأحاسيس حقداً دفيناً فى قلب الكاتب حيث يسمى الأميركان أولاد الحرام، ابليساً:

«ما عساهم يريدون(الأميركان)؟ وأنتم ... قلتهم شىء سولفتهم معهم؟ أولاد الحرام كل واحد منهم ابليس»(السابق: ٣٠٩).

ربما أهمّ تغيير طراً على البلاد العربية فى هذه الحقبة، التحدى بين العرب والأميركان تحدياً يودى فى نهاية المطاف إلى تفضيل الأميركان على العرب حيث يستولى الأميركان على كل شؤون العرب ويبحثون بدقة وجهد واسع فى معرفة العرب وأخبارهم وأنسابهم:

«كأنهم(العرب) مدفوعون بقوة خفية لتحدى بيت الإمارة وبيت الأمير من ناحية ويكى يثبتو الأميركان أنهم قادرون عمل شىء لا يقل عن أعمالهم وبيوتهم من ناحية أخرى»(السابق: ٣١٧).

إنّ هذا التحدّي لا ينحصر على الناس بل يتجاوز إلى الأمراء ومصدره هو عدم الثقة في وجود العرب وهم يشعرون بالضعف والهوان. على سبيل المثال يروى الكاتب أن أمير العرب يجعل الأمير كان قدوةً يحتذى بها عند ما يريد أن يبني قصره:

«أنا أظل وراءهم (البنائون)، ألاحقهم (البنائون) في الليل والنهار وأقول لهم (البنائون) لازم بيت الأمير يكون مثل بيوت الأمير كان: الشبايبك، الأبواب، كل حاجة، نعم كل حاجة لازم تكون مثل الأمير كان» (السابق: ٣٣٦).

كما مرّ سابقاً إنّ الحكومة العربية أصبحت تقوى منذ زمن دخول الأمير كان ولا غرو في هذا الأمر لأنّ الأمير كان يحتاج إلى حكومة مسيطرة على الناس لكبت أفواههم، حكومة طواع لأوامره:

«الجبن الحكومة فوق الجميع. الحكومة لا تخاف من أحدٍ. وهي اللي ترجع الحق لأصحابه، لكن أنتم البدو ما تتعلمون إلا بالدوس» (السابق: ٣٢٣).

إنّ رؤية الكاتب رؤية شاملة في قضايا الاستعمار ويشتمل على كل نواحيه حيث يتطرق الكاتب إلى قضية الغزو الثقافي بجانب السياسة والاقتصاد قضية تظهر جلياً عندما تدخل النساء الأمريكى مدن الملح ويدخل معهنّ كل ما يدخل:

«بعد أن توقفت الباخرة تنقل الذين كانوا على ظهرها. نقلت المراكب عشرات الناس، مئات الناس، وكانت مع الرجال أعداد كبيرة من النسوة. كانت النسوة طريات لامعات باسمات، أو كالخيول بعد شوط طويل من الركض. كل واحدة مغسولة قوية مستعدة وكأنها خارجة لتوها من حمام ساخن سامخة ظاهرة. كانت الأجساد لا تسترها إلا قطع صغيرة من أقمشة ملونة، أقوى من الصخر. الوجود والأيدى والصدور والبطون، كل شيء نعم كل شيء كان يشتعل، يرقص، يطير، ... يجعل أحد الرجال امرأة واثنين على ظهره وصدرة أو أن تجلس امرأة في حضن أحد الرجال... أما التعليقات قد بلغت الذرورة مع وصول المركب الأخير قادماً من الباخرة. كان في المركب رجل واحد وسبع نساء. كان الرجل في وسط المركب بلحيتية الكثيفة وصدرة الملىء بالشعر والنساء السبع حوله...» (السابق: ٢٠٥-٢٠٦).

ماذا عسى أن يكون ردّ فعل العرب تجاه هذا المنظر: الصمت والحيرة بلا شك والألم الذى يصفها الكاتب ببراعة.

«صحيح أنهم كانوا أميل إلى الصمت ولم تصدر عينهم تعليقات كثيرة، إلا أنهم شعرو النبوغ من الدوار، وأحس أكثرهم بالآلام حادة تمزق أجزاء معينة من أجسامهم، بل وصل الأمر ببعضهم أن صدرت منهم أصوات حادة تعبيراً عن هذا الألم وتمنى آخرون لو أنهم لم يأتوا ولم يشاهدوا هذا الذى تجرى أمامهم» (السابق: ٢٠٦).

الراوى صادق فى كلّ ما يروى لا سيما عندما يحكم بين العرب والأميركان و فى مثل هذه المشاهد لا يتكلم عن العصبية بل يروى الوقائع كما هى. والصمت كما أشار الكاتب أول ردّ فعل للعرب ثم يساورهم القلق تجاه مسألة دخول النساء ويتساءلون أتلبية الثقافة الأميركية بكل ألوانها و لذاتها لصالحهم أو يتركوها و هكذا يبقون والهون برهة ليتأملوا. إنّ أوصاف الكاتب عن العرب كثيرة ويتجاوز عن هذا المقال؛ على سبيل المثال أشار الراوى إلى السمات التالية فى رواية التيه: تعرف العرب على التكنولوجيا الحديثة؛ تنوع القومى؛ توسع المدن؛ تبديل مدن العرب إلى المراكز التجارية وميلهم إلى الترف. يظهر الراوى فى كلّ هذه الرواية واصفاً ولا قاضياً يحكم على قضية النفط وهذا هو رسالة الكاتب ومهمته إظهار الحقيقة ووصفه أمام أعين القارئ والحكم للقارئ. من العسير على القارئ تخطيط حدود بين الشخصية المحورية وملاحمها والملاحم القومية للعرب ذلك أنّ هذه الشخصيات المحورية والقومية تارة تماشى البعض وتارة تخالفه وقولنا هذا يختلف كل الاختلاف مع آراء النقاد القصصى الذين يرون أنّ «أن الشخصية المحورية هى التى محور وأساس ويخلق الراوى الشخصيات الجانبية لأجل إظهار شخصيته أكثر فأكثر» (مك كى، ١٣٨٩: ٢٤٨).

الشخصية الفردية (المحورية)

هذه المقالة تعالج تعريف الشخصية والشخصية المحورية وأسس خلقها وطرقها وذلك قبل الولوج إلى سمات الشخصية المحورية:
تعدّد التعاريف عن الشخصية التى يخلقها الراوى، ويقول /براهيم يونسى أحد النقاد القصصى أنّ خلق الشخصية المحورية يشتمل على الفوائد التالية:

- ١- يهتم الراوى فى خلق الشخصية إلى جميع ملامح الشخصية جسمياً كانت أو خلقياً. وهذه الصفات تنشأ إما من الوراثة وإما من البيئة الاجتماعية.
- ٢- المهم فى عملية خلق الشخصية إنشاءها حيث تتميز بصفاتهما عن الشخصيات الأخرى.

تتكوّن عملية خلق الشخصية فى العمل الأدبى من ثلاثة الطرق: الحوار، الحدث، الوصف (يونسى، ١٣٥١: ٢٦٥).

يبدو أن رواية «مدن الملح» تحتلّ بشروط خلق الشخصية إلّا أنها تتكلّ اتكالا شديداً على الوصف ويترك الجوانب الأخرى وهذا هو الأمر الذى ينزع الرواية عن حياة الواقع لأنّ الحياة مزيج من الوصف والحوار والحدث دون أن يروى حكايتها راوٍ عليم بكلّ شىء. أما الشخصية المحورية فـ«يقصد بها تلك الشخصية التى يتحرك بها ومنها الكاتب لتحقيق غايته من العمل الأدبى روائياً كان أو حوارياً» (عبدالخالق، ٢٠١٠: ٦٠). من المستحسن الإشارة هنا أنّ الروايات تختلف فى كيفية إظهار ملامح الشخصية وجوانبها وتابعة لأسلوب المؤلف فى عمله الأدبى، فإذا كان العمل واقعياً يجب أن تظهر الشخصية واقعياً وإذا كان رمزياً يجب أن تتابع الشخصية هذا المذهب فى سماتها.

رواية «مدن الملح» عمل واقعى بيد أن خلق الشخصية مزيج من الأسلوب الرمزي والواقعي كما يقول إلباس نصرالله: «إنّ النصّ الروائيّ فى مراحل متعددة من الخماسية التاريخية أو الاجتماعى الذى تناوله منيف وبشفافية متناهية لدى استبدال أسماء الشخصيات للرواية والأماكن بالأسماء الحقيقية من بذلك بتاتاً...» (نصرالله: ٦٧).

وهلّ كلّ واقع يجدر أن يكون موضوعاً للرواية وما هى رسالة الكاتب أمام هذه الواقعية كيف يصورها؟ مطابقاً للواقع أم مغايراً له؟ يقول وليمز عن الواقعية والرواية المعاصرة. إنّ الواقعية التى تتناولها الرواية يجب أن يكون جديدة من أجل محافظة على الإبداع (وليمز، لا تا: ٢٨٩) وبعبارة موجزة إنّ عبد الرحمن منيف يرسم صورة من الواقع تتعدّى حدودها الرمز المحدود لمدن الملح التى ساهمت أمريكا فى تشييدها على أرض الواقع مساهمة كبيرة لنا حيث لا يمكن للعرب أن يتصوره من الواقع الذى يعيش فيه (شاهين، ٢٠٠١: ١٥٧). من الجدير أن تقوم المقالة على بسط الشخصيات المحورية وسماتها لكى يتبين الأمر أكثر فأكثر.

أ. متعب الهذال

إنّ شخصية متعب الهذال شخصية جمعت في باطنها كل خصل الرجل العربي، رجلاً رغم جهله وسذاجة نفسه وعيشه يعرف الحق عن الباطل. إنه شخصية أسطورية وله كثير من سمات أبطال الملاحم الكبيرة كما يقول جبر/ابراهيم جبر: «في الرواية نفس ملحمي لا أعرف مثله في أي روائي» (عبدالرحمن منيف، ٢٠٠٨: ١). إليكم بعض سماته:

١. الحب

جبلت نفس هذا البطل بحبّه لوطنه العربي:

«بين متعب الهذال ووادي العيون علاقة خاصة، عشق من نوع لا يتكرر

كثيراً» (عبدالرحمن منيف، ٢٠٠٨: ٨).

والحب لأولاده لأجل اعتقاده بأن الإنسان لا يموت مادام نسل منه يولد:

«... حتى القمر والنجوم بدت له مختلفة عن أيام كثيرة سالفة» (السابق: ٢٢)

قاله عند ميلاد ولده، شأنه في هذا الأمر شأن العرب أكثره.

٢. قوة النفس

إنه شخصية قوية لا يخاف ولا يحابي:

«متعب الهذال لا يكذب لأنه لا يعرف الخوف» (السابق: ٩٤).

إنّه مترفع النفس يأبى أن يراه أحد في حالة الصغف:

«قالت عيناه (متعب الهذال): باطن الأرض خير من ظاهرها ولا أريد ترى

ضعيفي أن تراني هكذا» (السابق: ٧٧).

٣. حدة ذكائه

إنّ حدة ذكائه يؤدّي إلى تشاؤمه بالنسبة إلى الأجانب الأمريكيين:

«إنهم شياطين لا يمكن لأحد أن يثق بهم إنهم الجن من اليهود ويحفظون

القرآن وأولاد الحرام... عجائب» (السابق: ٣٤).

لا يمكننا التعرف على هذه الشخصية إلّا بعد قراءة خماسية «مدن الملح» كلّها لأنّ

بعد تقطين الأميركيين في البلاد العربية وتأسيس شركة النفط في بلاد حرّان يغيب متعب

الهذال بشكل غريب وهذا هو دافع بإغراء القارئ على مواصلة قراءة خماسية «مدن الملح».

إنّ الأبطال في الروايات التقليدية ذات شخصية شريفة متعالية يفضّل الخير على الشرّ

لكنه فى الروايات الحديثة هولاء الأبطال ليست شخصيات ينسج الراوى حولهم هالة من القدسية بل انسان عادى ذو ملامح انسانية(راجع: آر بلكر، أروين، ١٣٨٩: ٣٢). وإنّ متعب الهزال شخصية تشبه أبطال الروايات الجديدة من حيث معارضته المجتمع و تشبه الروايات التقليدية والأسطورية من حيث ملامحه القدسية. يصف الراوى ملامحه عند ما يظهر تارة ويغيب تارة ويخيم إثره الخوف على الأميركان. «ظلّ متعب الهزال شبحاً ويحضر طوال فترة مدخط الأنائب، والأميركان الذين لجأوا إلى أساليب لا حدود بها من أجل انجارّ هذا المشروع كانوا بين الشدّة والأغراء،...»(عبدالرحمن منيف، ٢٠٠٨: ٤٧٩). «... قدروا فى البداية وإنّ شيئاً غير عادى لا بد أن يحصل الليلة» (السابق: ٤٨٠).

إن الشخصية المحورية شديدة الالتصاق بالملامح القومية للعرب إذن يشبه قومه فى كثير من سماته ويختلف عنه فى رفضه الظلم ومحاربتة.

ب.ابن الراشد

إنّ شخصية يعارض شخصية متعب الهزال لأنّه ممثّل الحكومة والأميركان. يراه القارئ الشخص الحادّ الذى ذات نفس معقدة على خلاف ما يرى فى متعب الهزال، إنه يعرف موضع الحلم عن الغضب وموضع الكرم عن البخل: «ابن الراشد الذى بدا شخصياً مختلفاً منذ أن وصل هؤلاء الأجنب، وبالع بالكرم والعناية وإظهار هذا الكرم وهذه الغيلة. هو الذى جاء بهم إلى هذا المكان وسلمهم كالغنم إلى هؤلاء كانوا حاقدين عليه يعتبرونه مسئولاً ليس عن خوت غربان(اسم احد العاملين وانما عن قتله»(السابق: ٥٠). إنّه يشتدّ العداوة مع متعب الهزال لكنه فى عداوة هذه يعامل أيضاً محتالاً ولا ينتقم بسرعة: «هل جاءت فرصته الآن يكى ينتقم من متعب الهزال وذريته كلها»(السابق: ١٦٨).

إن شخصية ابن الراشد أيضاً لا يختلف عن شخصية متعب الهزال فى شدة التصاقه بملامحه القومية غير أنه يحاول أن ينتفع من الظروف مهما تعقب من الآثار السيئة.

دلالة الأسماء وتوظيف الرمز

إنّ الأسماء ذات دلالات تساعد الكاتب في خلق شخصياته فيستخدمه كل كاتب في وصول إلى غايته، لقد ألقى أحمد مرشد في كتابه البنية والدلالة كل هذه الطرق وهي على ستة أنواع (أحمد، ٢٠٠٥: ٣٦-٣٨):

علم مجرد	اللقب	الكنية	الصفة المفردة الصفة الجنسية	الصفة المركبة	الضمير
علم أجنبي	اللقب المقرون بالمهنة		سيدات فتيات سادات	المرأة الفلاحة	المستغنى عن ما يرجع إليه
علم عربي	اللقب المجتمعي الحاج- الشيخ بيك		المسيحية	ذات العينين السوداوتين	لا يستغنى عن ما يرجع إليه
	اللقب منسوب بالمكان شيرازي		المهنة سيد البلاد سيد القرية		

أما بالنسبة إلى الأسماء في روايات مدن الملح؛ هناك عدد هائل من الأسماء في رواية مدن الملح، ربما الكاتب يرنو من وراء هذا العدد الهائل من الأسماء أظهر كثرة العرب وقدرته أو يدلّ القارئ بجانب هذا إلى أن هدف الرواية ترسيم قومية العرب. إنّ هذه المقالة تركّز على أسماء الشخصيات المحورية بيد أنّ أسماء كل الشخصيات لها تأثيرها في الرواية: إن اسمين «ابن الراشد» و «متعب الهذال» إذا اقترن بعضه ببعض فيظهر التضاد والعداوة بين هاتين الشخصيتين بوضوح إذ أنها مضادّان في اللغة بيد أنّ كلمة ابن يقوى سمة القوة والشباب فيه لأنه إذا يبدل بكلمة الأب يظنّ القارئ أنه أكثر سناً وأقلّ قوة.

وكلمة الراشد يظهر تقدّم الشخصية في جمع الثروة والمقام طيلة الرواية غير أنّ كلمة متعب إضافة إلى الهذال يرشدنا إلى أمر خطير يثقل على كاهل بطل الرواية حيث يصبح إثره مهزوة والهذال أحمد السمات التي يعددها الراوي لقوم العرب قبل دخول الأميركيان إذ إن هذه الشخصية لا تريد ترك الماضي، ولا يريد التغيير بدخول الأميركيان وفي مقابلها

كلمة الراشد في ابن الراشد يدلّ على التغيير لأنّ الرشد ملازم لتغيير ويشير هذه الكلمة أنه يريد التغيير في عيشه بقبول الأميركان.

يحتل الوصف في روايات عبد/الرحمن منيف مكانة واسعة وهو من إحدى العناصر الأساسية في تكوين بناء الرواية ولها وظائف كثيرة منها:

١- إنه يسهم في خلق الفضاء الروائي و«مفهوم القضاء يثير في الرواية مجموعة من التصورات النظرية التي توسعة أحياناً ليشمل البناء الروائي لكل واحدٍ ويجعل آثاراً الكاتب مميزاً من بين الكاتب» (راجع. مسعودي، ١٩٩٩: ٧٦).

٢- إنه وسيلة لتصوير الأمكنة في ذهن القارئ ويقدم المكان الروائي بوساطة الوصف في الغالب الأعم على الكاتب أن يستخدم وصف الأمكنة أداة يبدّل هذه الأمكنة قضاءً يحيط بها وينظم حركاتها ويجعلها أكثر عمقاً وإيحاءً من دلالاتها الروائي (الفيصل، ٢٠٠٣: ٧١).

٣- يعتبر الوصف إحدى الطرقتين الأساسيتين في خلق الشخصية وبه يجذب القارئ ويتفاعل النص الروائي.

وصف الشخصيات

اختارت المقالة هذه من بين أنواع الوصف نوعين منها:

١- الوصف البراني: هو الوصف الذي ينهض بتحديد الملامح الخارجية المميزة للشخصية المقدمة؛ ٢- الوصف الجواني: هو الوصف الذي ينهض على تحديد أهم الملامح الداخلية التي تميّز الشخصية (مرشد، السابق: ٦٥). المتأمل في الرواية يرى كلا النوعين في النص وجلّ التوصيفات مختصة بالوصف الممزوج من كلا النوعين حيث يصعب على القارئ تفكيكهما:

«كان هاجم يبدو شديد التحول، كأنه لم يَدْفَ يوماً أو أكلاً من أيام، وكان ذاهلاً ذهولاً كاملاً، حتى لا يكاد يسمع الأصوات حوله ولا يرى الوجوه والعيون التي تنظر إليه وفي المرات التي كان الرجل المسن يريد أن يخاطبه، أن يقول له شيئاً كان يهزه، يمسكه من يده عند الساعد ويهزه هزاً قوياً. فينفض كأنه يستعبد نفسه من مكان قصي أو يتسقيظ من نوم عميق فيتطلع إلى الرجل بعيون شديدة الحزن وكأنها عيون حيوان جريح، فترت

أجفانه عدة مرات مع حركة عصبية من الرأس حتى إذا تأكّد الرجل من انتباهه سأله بصوت عال:

هاجم ... تسمعيني يا هاجم؟ فإذا هزّ رأسه بالإيجاب تابع «قل لي، يا وليدي، تأكل؟ تشرب؟ ما جعت؟ وعطش ما عطشت؟» فيحرّك هاجم يديه ورأسه دلالة أنه لا يعرف»(منيف، ٢٠٠٨: ٣١٩).

من العسير تحديد حدّ للوصف البراني والجواني كأنها امتزج امتزاجاً: جملات منقطعة وموجزة «قل لي، يا وليدي، تأكل؟ تشرب؟ ما جعت؟ وعطش ما عطشت؟» ينتقل الاضطراب والقلق والحالة العصبية من الرجل المسن الذي يواجه «هاجم» بسهولة والجملات الطولية تظهر ببطء حركات الهاجم المذهول لا سيما عند ما يزوّده الراوي بالتوصيفات الدقيقة: «فيحرّك هاجم يديه ورأسه دلالة أنه لا يعرف» وكثيراً ما يستخدم الكاتب الوصف النفساني ببراعة، أنظر كيف ما يصنف حالات العمّال الذين اتعبتهم الحياة القاسية:

«عند العصر، حين عاد العمال إلى العسكر كان عدد الذين حرت مقابلتهم خمسة عشر، أما الآخرون فقد أحلوا إلى وقت آخر لم يحدّد. وبرغم أنّ الكثيرين صمتوا في البداية، فلم يتكلموا ولم يسألوا أو يسألوا فإنّ الحالة من الاضطراب الأقرب إلى الهياج سيطرت على المعسكر كلّه كان الدوى الداخلي يدفع الكثيرين لأن ينصرفوا بخشونة لأن يصرفوا دون سيب واضح، ولم يتردد «بعضهم في أن يذهب إلى النوم مباشرة رغم أنهم لم يتعودوا النوم في مثل هذا الوقت»(السابق: ٣٠٦).

إن كلمات الاضطراب، الهياج، الدوى الداخلي، خشونة يصرخوا، النوم تشير إلى الحالات النفسانية للعمال دون أن يتدخل في هذا الإنسان الوصف الظاهري منهم. إن أكثر ما يتلقى القارئ وعن النص وصف نفساني أو الوصف الجسماني ممزوج بالنفساني ومن الصعب العثور على وصف يتحلّى عن الحالات النفسانية ويختص بالوصف الجسماني أو البراني. «أما في الصباح فإنهم(الأميركان) فيصلّون بطريقة عجيبة. إذ يبدأون يرفع أيديهم وأرجلهم في الهواء، ويحرّكون أجسامهم كلها ذات اليمين وذات اليسار ولا يتوقفون إلّا بعد أن يرفهم العرق ويبدأون بالهات»(السابق: ٤٧).

إنه يصف الأميركان في حالة الرياضة وقت الصباح لكنّ اليدوى يغترب هذا التصرف وهو وصف صادق مع أنه جسمانى تدلّ على سمة سزاجة النفس والجهل و هما من السمات النفسانية.

نتيجة البحث

توصّلنا خلال بحثنا إلى الاستنتاجات والملاحظات التالية:

١. هناك في رواية مدن الملح(التيه) نوعان من الشخصية: ١.الشخصيات المحورية
٢.الشخصيات القومية وهذا أمر يميز هذه الرواية لأن الكاتب يستهدف بجانب خلق الشخصيات الفردية ترسيم الملامح القومية للعرب قبل وبعد دخول الأميركان، وهى أخطر حصة في تاريخ العرب. لهذا يرى القارئ أن في الرواية هناك انكسار في الزمن الروائى وأن كلّ الشخصيات في هذه الرواية تواجه مصيراً واحداً وهو التيه وفي هذا الزمن يخلق الكاتب الشخصيات المحورية مثل متعب الهذال الذى يقف أمام وجه الأميركان وممثلهم ابن الراشد في المنطقة. إضافة إلى هذا هناك عدد هائل من الأسماء في الرواية تستخدم في الرواية لتكوين ملامح الشخصيات لاسيما الشخصية ابن الراشد الذى يدلّ اسمه على تقدمه وقوته ومتعب الهذال الذى يدلّ اسمه على تعبته أثر محاربتة الأميركان وحمل عبء أرهاق كاهله. إن الميزة الأصلية لرواية خماسية مدن الملح(التيه) هى الوصف الذى فى هذه الرواية يظهر فى إطار يشتمل على الوصف البرانى(الخارجى) والوصف الجوانى (الداخلى). والوصف الجوانى أقوى وأهم فى رواية مدن الملح لأن التوصيف يتجاوز فى الرواية عن النطاق الشخصى ويشتمل على المواصفات القومية.

المصادر والمراجع

- أحمد، مرشد. ٢٠٠٥م، **البنية والدلالة**، د.ط، بيروت- عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والمركز الرئيسي، دار الفارس للنشر والتوزيع.
- بلكر، اروين آر. ١٣٨٩ش، **عناصر فيلمنامه نوبسي**، ترجمه محمد گذرآبادي، تهران: انتشارات هرمس.
- بيريام، اليوت. ١٣٦٨ش، **رمان به روايت رمان نوبسان**، ترجمه علي محمد حق شناس، چاپ اول، تهران: بي نا.
- شاهين، محمد. ٢٠٠١م، **آفاق الرواية؛ البنية والمؤثرات**، د.ط، دمشق: اتحاد كتاب العرب.
- عبدالخالق، نادر. ٢٠١٠م، **الرواية الجديدة بحوث ودراسات تطبيقية**، ط ١، كفر الشيخ: العلم والإيمان للنشر.
- الفيصل، سمر رويحي. ٢٠٠٣م، **الرواية العربية البناء والرؤيا**، د.ط، دمشق: اتحاد كتاب العرب.
- مك كي، رابرت. ١٣٨٩ش، **داستان، ساختار، سبک و اصول فيلمنامه نوبسي**، ترجمه محمد گرد آبادي، تهران: نشر هرمس.
- منيف، عبدالرحمن. ٢٠٠٨م، **مدن الملح(التيه)**، لا مك: المؤسسة العربية للدراسات وللنشر.
- النابلسي، شاكر. ١٩٩٢م، **مباهج الحرية في الرواية العربية**، ط ١، بيروت- الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع.
- نصرالله، الياس. ٢٠١٠م، **السعودية وبدعة التاريخ البديل**، دمشق: دار المدى للنشر.
- يونسى، ابراهيم. ١٣٥١ش، **هنر داستان نوبسي**، چاپ دوم، تهران: اميركبير.

المقالات و الرسائل

- آيت اللهی، سيد حبيب الله و ديگران. ١٣٨٦ش، «**تحليل عناصر داستاني قصه حضرت يوسف در قرآن كريم**»، مجله پژوهش زبان و ادبيات فارسي، ش ٨.
- رضوانيان، قدسيه و عليرضا پورشبانان. ١٣٨٩ش، «**نمایش شخصیتها و شخصیتهای نمایشی در تاریخ بیهقی**»، فصلنامه پژوهشهای زبان و ادبیات تطبیقی، ش ٢.
- سعودی، آمال. ٢٠٠٩م، «**السرود والبناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج**»، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، جامعه محمد بوضنياف، مسية.

Bibliography

- Ahmed, Morshed (2005), Structure and significance, unprinted, Beirut, omman; Arab Institution for Studies and Publishing and the Main Center, Darol Fares Publishing and Distribution.
- Ayatollahi, Seyyed Habibollah and others (2007) "Analysis of the story elements of Yousef's story in the Holy Quran". Journal of Farsi Language and Literature. Number. 8.
- Balker, Erwin R., Screenwriting Elements (2010), Translator: Mohammad Gozararabadi, Tehran: Hermes Publications.
- Rezvani, Ghedsieh, and Ali Reza Porshabanan (2010) "Show the characters and characters in the history of Baygahi" Quarterly research on Comparative language and Literature. Number 2
- Shahin, Muhammad (2001) The Prospects of Prophetic Narration and Influences »Dr. T, Damascus, The Arab Book Union.
- Shahin, Muhammad (2001) The Prospects of Narration «Structure and Influences, No printed, Damascus, Arab Book Union.
- Al-Faisal, d. Samarruhi (2003) Arab Thought and Vision, No printed, Damascus, the Arab Book Union .
- Abdulkhaliq, Nader (2010) The New Novel, Applied Research and Studies, 1 st, Kafr Al-Sheikh, Al-elm and Al-iman for Publishing.
- McKee, Robert (2010), Story, Structure, Style and Principles of Screenwriting, Translator: Mohammad gord Abadi, Tehran: Hermes Publishing.
- Muneeb, Abdulrahman (2008) The Cities of Salt (attih), Arab Institution for Studies and Publications
- Birjam, Elliot (1368), Novel by Novelists, Translator: Ali Mohammad Haghshenas, , 1 st, Tehran.
- Nabulsi, Shaker (1992) The Pleasures of Freedom in The Arabic Novel, 1 st, Beirut, Jordan, Arab institution for Studies and Publishing, Daroll fares Publishing and Distribution.
- Younesi, Ibrahim (1351) Art of Fiction, 2st, Tehran: Amir Kabir Publishing House.
- Nasrallah, Elias (2010) Saudi Arabia and the innovation of alternative history, Damascus: Daralmada Publishing.

